

وإن «عائشة» الحفيدة في حقيقة الأمر
صورة أخرى لعائشة الجدة..

في السالفة (أو أم السالفة) لا تعني
بالضرورة مانا حدث، ولكن هل نحن
نستفيد من دروس التاريخ؟! وهل نعي
وندرک ما كان وما سوف يكون؟!!

ومضمون (أم السالفة) الصراع
على المكتسبات الأنية لا يهم أن يكون
الضحية الأم أو الأخ..

جل شخصيات المناعي.. مطواعة..
(فجاسم) شاعر ومغني، وهو صوت
صارخ لم يذهب إلى المدرسة ولكن
مدرسته (الحياة بكل ألوان الطيف) ولكل
شخصية مستحضرة حياتها الخاصة
وفلسفة وجودها عبر النص.. إن الأعمى
والأطرش والعاجز عن الحركة نماذج
من الحياة وحضورهم فوق الخشبة
لدى المناعي ليس من أجل الإضحك
أو خلق موقف كوميدي يعتمد على
كوميبيا اللفظ أو الحركة.. - جاسم-
الشاعر- صورة من والده ومن والدته..
كلاهما لم يستسلم لليأس أو للحياة،
ولكن كليهما مرتبط «ببستانه»، ذلك أن
رائحة دهن العود تعبق في أرجاء البيت
القديم والمتهالك..

في «أم السالفة» يحكي لنا «عبد
الرحمن المناعي» بأسلوبه الشعاري
والسلس.. ويعود مرة أخرى لعوالمه..
أفراداً يتحدثون، يحلمون، يدفعون ثمن
الحلم وهكذا..

ولنا ونحن نقرأ النص نكتشف
حالة الهدوء عبر دردشة أو حوار بين
أم وابنها يستمر هذا الحوار الشعاري
الفلسفي طوال فترة تفردهما في الجدل
حتى تدخل في المشهد (عائشة الحفيدة)
نكتشف أن دخولها يغير شبكة العلاقات،
نلك أن الوعي بماهية حضورها لدى
الأم وجاسم معروف سلفاً.

والمناعي يضع المتلقي في
بدء الحدث في مشهد كوميدي بالغ
السخونة، فها هي الأم تحاول أن تنكر
ابنها بالعيب.. وأن عليه أن يكون حسن
الهنام والشكل وجاسم الابن عالمه وإن
كان مرتبطاً بأمه وهذا المنزل المتهالك

«أم السالفة» أحدث أعماله

عبدالرحمن المناعي العائش في الحقيقة

د. حسن رشيد

الذين يبحثون عن حياة أفضل كما في
«أم الزين» أو تتعدد أسفارهم كما في
أسفار «الزباري» لا يفتأ أن يمنح هذه
الشخوص حياة أخرى وبعداً آخر..
ويطرح من خلال نماجه وقائع نعلم
عنها ونرکها ولكن ليس بمقبورنا أن
نمنحها الحياة كما يمنحها هذا المبدع
الكبير.. إن استحضار الماضي في
هذه السالفة تعرية للواقع المعاش..

هذا المبدع القطري الكبير لا يستطيع
الفكك من أسر الماضي.. نلك أن
الماضي لا يمثل له مرحلة مرت سراعاً
ولا ينطلق مثل غيره في البكائيات،
ولكن الماضي القريب يشكل جسراً كي
يكشف ويعري واقعاً يمثل جزءاً كبيراً
من الذاكرة الجمعية..

وهو منذ أن فجر صرخات نماجه
منذ ما يقرب من نصف قرن.. عبر أولئك

إلا أنه يعيش في عالمه الخاص.. إن
عالمه (بستان مريم)..

كلاهما يحمل همه.. ولكن لا يحملان
اليأس.. فمزالته هناك فرصة للحياة -
عبر- بستان وهمي.. نعم لقد فقد البصر
منذ كان عمره ست سنوات واعتمد على
البصيرة.. تعلم من الحياة واستوعب ما
يجب أن يكون أو لا يكون.. عرف في
رحلة البصر عدداً محبواً من الأشياء
(أنتي والسما والأرض أعرف لونها)..
الحمد لله) كما أن الأيام لا تمحي من
ذاكرته (مريم) الأيقونة التي تلازمه
(مريم خذها الوقت.. وأنا خذت الوقت..
ما شفت شي عقبها.. هذه نعمه نعمه
يا يمه) هل فقدان البصر نعمة؟ سؤال
إشكالي.. وهل بمقدور فاقد النظر أن
يتوازن مع الحياة؟! أيضاً جائز.. ولكن
مانا عن الحب المرتبط بالطهر والبراء
لا يمكنه الفكك من أسر (مريم) المعادل
الموضوعي لديه للحياة..

عائشة: بعد تفكر فيها؟

جاسم: مثل ما تفكرين في ها البيت..

عائشة: البيت موجود.. من يوم بناه
أبوك وهو موجود.. تغير شكله تهدم
ذي الصوب وتكسر ناك الصوب بس
موجود..

جاسم: موجود لأنك تشوفينه يا
يمه.. تشوفينه..

«الأم ترى آثار وبقايا لنكريات
جميلة ارتبطت بها، ولكن جاسم حتى
بقايا الناكرة مغلف بالسواد».. هذا هو
المناعي وقدرته على خلق هذا الحوار
عبر مفردة بالغة العنوبة والرقعة.. إن
(صوت المؤلف وفلسفته) حاضر عبر
كل الحوارات (يا يمه البيت ما يقوم
إلا بالطين والحصى.. ولا الحجى ما
يقوم ساس)، عائشة فهي مصرّة على
البقاء عبر ما بقي من ذاكرتها عبر هنا
المكان الواقعي، ولكن جاسم باقى لأن
المكان الواقعي يجسد أيضاً ما بقي من
الحلم.. هذا الحلم المرتبط (ببستان
مريم) وعبر شذوه وتلك الصرخات
الشجية الموزونة بالحزن الشفيف..
لقد أطلق «فايق عبد الجليل» الشاعر

**في «أم السالفة» يحكي
لنا «عبد الرحمن المناعي»
بأسلوبه الشعري والسلس..
ويعود مرة أخرى لعوالمه..
أفراداً يتحدثون، يحلمون،
يدفعون ثمن الحلم وهكذا..**

الراحل ذات الصرخة ذات مساء.. وكيف
انمحت الناكرة عندما استقبل بيوت
الطين بالعمارات الأسمتية وتجلي
نلك عبر الشاعر «مرزوق بشير» عبر
شذو المرحوم «فرج عبد الكريم» وقطع
شجرة (السر) وهنا جزء من الجرح
الجمعي، ولكن ما يميز المناعي قدرته
على الغوص في حنايا الناكرة والقلب
في آن واحد.. إنه المناعي المتفرد بهذه
اللغة الشفافة..

جاسم: أنتي في قيد البيت وأنا في
قيد مريم اللي ما كبرت..

عائشة: رديت تسميه قيد.. كنت تقول
لي هنا بستان مب قيد..

جاسم: لا حارس على البستان ولا
مريم تريووه..

كلاهما - الأم والابن محصوران
بالواقع المعاش- واقع العمر بالنسبة
للأم وواقع فقدان البصر بالنسبة لجاسم
وواقع رحيل الأحبة (الزوج ومريم)
ولقد تغيرت خريطة كل شيء - حتى
الزمان والمكان وأطباع الناس حتى
أقرب المقربين (بحث الأخ الأكبر ماجد
عن سند البيت) من أجل بناء عمارة
سكنية وتحول المجتمع الهادي إلى
مجتمع انشطاري، فإن الحوار المحمل
عبر حوار جاسم مع أمه يطرح هنا
الانقلاب عبر مفهوم كليهما..

عائشة: من وين لي عمر ابني دنيا
جديدة بدون أبوك وبدون ها البيت
الشوط لين ركضته لازم أتمه.. من وين
لي عمر يا جاسم.. إذ تبي تروح روح
حق أخوك..

جاسم: اقدر أجلس جدام بيته وأغني
ومحد يضحك علي أو يفلعني بحصايه؟

أسئلة كليهما تتلاحق وكأنما في
صراع.. الأم تنكر فلذة كبها بالعيد
وكانما يعيد إليه طفولته، الثوب الجديد
واحتفالات الناس البسطاء (وش الفرق
بين الثوب الجديد وثوبي هنا) ذلك أن
الأم تأمل أن لا ينسى الأخ الأكبر والثري
حاجة أخيه إلى ثوب جديد.. هنا يفجر
جاسم الموقف بسؤال استفزازي يوازي
استفزازية الأم (واليوم يبجي حق العيد
ولا حق البروه؟) هو يعيدها مرة أخرى
إلى الصراع الخفي.. وإنا كان الفعل
الدرامي ليس مجسداً فوق الخشبة فإن
الحوار في مجمله صراع واضح وجلي
ونو عدة أبعاد..

إن البيت كما يراه (ماجد) كنز في زمن
بعثر كل شيء، هو قد افتك من أسر
الماضي ويعتقد أن بمقدوره أن يسليخ
كلاهما كما انسلخ هو عن الماضي، لأنه
لا يملك سوى بستانه الجديد (الثروة)..

جاسم: أنا شايل الدنيا وياي.. شايل
مريم وبستانها في ظلام ما ينتهي.. بس
أنتي شلون بتشيلين ها البيت بخطواته
وسنيته..

إن كلاهما يعرف إلى مانا يرمي
الأخر نلك أن قلب الأم مع قسوة ابنها
الأكبر ماجد إلا أنها تعود في لحظة ما
إلى ما يمثلها الواقع..

جاسم: قلتي وقلت.. وبنقول طوال
ما ها البيت باقي مثل ما هو.. مرة
بنقول عنه قيد.. ومرة بستان.. بنقول
وبنقول وبعدها بنسكت..

ثم يكملان حوارهما:

جاسم: كل الناس تغيروا يا يمه..

عائشة: كل له بستانه..

هذا الحوار الممتع والجميل والهادئ
في إطار الموقف الهادي ذلك أن كليهما
بيث لواعج النفس.. لا يملكان القدرة
على الفكك من أسر الماضي، ولأن
الحدث في مجمله هادي فإن دخول
(عائشة- الحفيدة) يغير من شبكة

العلاقات.. ذلك أن (عائشة الحفيدة) تحمل رسالة من والدها وإن كان ظاهرياً تطرح فكرة (العيد- وتجمع الأهل-).

الحفيدة: وليش يا عمي.. حتى أبوي السنة مفصل لك ثوبين..

ويكون الرد الساخر من قبل (جاسم) ثوبين.. زين حق ها العيد والعيد الجاي..

عائشة الحفيدة.. لا تنجح في أداء المهمة، إنها لا تنطق إلا بصوت الآخر والمتمثل في صوت الأب (ماجد)..

الحفيدة: يا يما الحياة اتغيرت.. وفريجكم هنا يمكن يشيلونه ويبنون مكانه بنايات حديثة وحدائق..

إن عائشة الحفيدة ترى العالم من خلال رؤيتها الخاصة للعالم قد تكون محقة فيما تطرح مع إصرار الجدة على أنها لا تعرف كنه الأشياء..

الحفيدة: العواطف حلوة يا يمه.. بس ها البيت قديم وأنتي مرة كبيرة وعمي مسكين ما يشوف.. تيون حد يهتم فيكم..

إن الحجة عبر هذا المنطق العقلاني لا يمثل فكرها وأطروحتها بل صوت الآخر (صوت الأب)..

الحفيدة: أبوي يبي مصلحتكم..

عائشة: والثن؟

وتطرح الحفيدة رأيها بأن هذه الدعوة الكريمة من قبل والدها دافعها الأساسي وشائج القربى والحب.. إن عالم ماجد الآن يختلف عن عالم الماضي ذلك أن الماضي لا يمثل له سوى حقبة لا يجب أن يتنكرها..

الحفيدة: كل هنا راح يا جنتي..

عائشة: عندك وعند أبوك.. لكن عندي أنا كل الأشياء مثل ما هي.. وكل الأصوات صداها يدور ما بين ها الحصى والطين.. عندك وعند أبوك بيت خرابة وعندي أنا عمر.. عمر..

أحسن أكل.. لا وحتى بيودينا البحرين والهند.. قال أشياء وايد طول السنة اللي طافت.. هذه هي محبته والحين دورك وبتقولين كل الكلام اللي قاله بس بكلمات غير وترتيب غير.. نفس التعويضات بس أم السالفة.. بروة البيت..

الموضوع مرتبط بسند البيت لقد انكشف المحذور فالأخ ماجد لا يهمله سوى (الثروة) ومهمة المبعوث قد فشلت.. هذه الحفيدة في براءة تسأل (هل حقاً هنا المكان بستنان لجبتها؟)

عائشة الحفيدة لا تشعر حتى بما تشعر به عائشة الأم التي مازالت رائحة دهن العود من بشت زوجها الراحل تعبق أرجاء المكان.. لنا فإنها تتمنى أن تعيش ما بقي من عمرها عبر نكرياتها مع المكان - الحياة - اللحم - أما الحفيدة فقد أصبحت رويداً رويداً تقترب من كشف الحقيقة فتقول (هنا هو بستانك يا يمه؟).. لحظة المصارحة والمكاشفة مع النفس ومع جدتها وعمها.. وأن حضورها وجلبها لطعام العيد وكل الحوارات حول الانتقال المكاني إلى المنزل الجديد كان بأوامر من والدها.. هنا تتبدل كل الأمور.. فالمبعوث قد فشل في أداء مهمته ولكنها تعترف..

الحفيدة: توني أتعلم قيمة الأشياء يا جنتي.. لازم أقط أشياء وايد وراي.. عمي ما ييري عن مريم أي شيء؟

فيكون رد عائشة (الجدة) إن كل الأشياء غير مهمة.. المهم اللحم ونكريات الطفولة ورسوخ بعض الملامح في الناكرة.. ذلك أن جاسم قد فقد نعمة البصر منذ طفولته عندما كان عمره (6 سنوات) ولا تجد عائشة الحفيدة إلا أن تعري الواقع الأبوي..

الحفيدة: سالفة أبوي غير يا يمه.. هنا إنا سولف..

هنا وجدت الحفيدة لونا آخر للحياة وللحب وللارتباط بالمكان والانتفاء.. هنا مكاشفة مع النفس وصرخة احتجاج من المؤلف حول الواقع الجديد.. إن المال سيد الموقف وإن التهافت على

هنا هو الاختلاف بين جيل وجيل وأحلام إنسان وأحلام آخر.. اختلاف في المفاهيم والفكر والرؤى والرؤية للأشياء سواء كان تحفة أو مكاناً، ذلك أن عائشة تحتفظ بناكرة المكان المرتبط بنكريات الحياة.. العيد والزيارات والطيبة والبساطة والأهم التجمع وتناول الأكل عبر (صحن) واحد..

هذا الطرح يمثل أيضاً منطقاً موازياً لابنها جاسم الذي يعيش على ذاكرته في رده على الحفيدة..

جاسم: هنا أنتي قلتها لو اشوف.. أنا ما شوف بس أعيش بين ها الجدران.. أمي بستاني.. أنتي تشوفها بعينك وأنا أشوفها بقلبي..

من الواضح أن الحفيدة لا تستطيع أن تنجز المهمة مع كل المغريات.. ويكون الرد رداً حازماً وحاسماً في أن واحد وهو يوجه حديثه لابنة أخيه..

جاسم: يا عائشة أبوك يبي يسكني أنا وأمه في وسط الحديقة ويحيط لنا خدمة وسيارة بسواقها.. وبيأكلنا



إن عائشة الحفيدة ترى العالم من خلال رؤيتها الخاصة. قد تكون محقة فيما تطرح مع إصرار الجدة على أنها لا تعرف كنه الأشياء..

ما هو لك..

ولأنه لا يدرك أبعاد هذا الموقف للوهلة الأولى خاصة أن العزف على وتر مصلحتها لا يجدي في إطار أبعاد اللعبة إلا إلى انقلاب الموقف برمته..

الحفيدة: قولهم المستقبل ضاع.. قول لهم بنتي ضاعت.. يمكن يعطونك بدل فاقد..

نص يحمل شحنة من الشجن الجميل وشخصيات مرسومة بدقة عبر حوار سلس مغلف بالشعر الذي ينبع من صلب الحدث ويتحول إلى صوت الضمير مرة وتعقيب على الموقف مرة أخرى.. إنها رؤى استشرافية لمبدع لا يتوانى عن إثراء خشبة المسرح بكل ما هو يمثل الأصالة والصق..

ومع هذا فإن بو إبراهيم (النوخنا) مخاض كبير يطرح في هدوء حواراته.. ويستحضر موقفاً يبدو بسيطاً ثم يجر المتلقي بناكرته إلى ما يريد أن يقوله.. هكذا دأبه في كل تراثه المسرحي..

صديقي المبدع الكبير.. ها أنت كعادتك تعود لتؤكد أنك النهب الأصلي.. كثيرون حاولوا ولكن شتان بين فكر وموهبة خلاقة يبحث في الفرجان وعلي السيف عن نماجه.. مرة يمنح الحياة لأعمى يسرد حكاياه في مقهى شعبي.. ومرة يصرخ نهام على متن سفينة تمخر عباب البحر.. ومرة يستحضر الحياة عبر صراع على دانه فريدة يلقي بها غواص ماهر في أعماق الأعماق مرة أخرى.

عبد الرحمن المناعي ويكفي أن أقول عبد الرحمن لتتحني الهامات أمام هذا الشجو الجميل وصرختك الأزلية لا تنسوا الماضي.. ولا تركنوا إلى الحاضر (اللي ما له أول ما له تالي).

عفواً.. فقد نسينا كل شيء ولكن هناك من يذكرنا بالمرازيم في فصل الشتاء وصوت المؤذن لصلاة الفجر والأبواب المفتوحة على مصراعها مرحبة بمن يشاركهم لقمة مغموسة بالحب.. ولا شيء آخر.



عبد الرحمن المناعي ويكفي أن أقول عبد الرحمن لتتحني الهامات أمام هذا الشجو الجميل وصرختك الأزلية لا تنسوا الماضي.. ولا تركنوا إلى الحاضر (اللي ما له أول ما له تالي).

عائشة الحفيدة فإن نقطة الانفجار لم يكن أوانها حتى بدخول ماجد وصدمته عندما شاهد ابنته تؤدي فروض الصلاة مع أمه.. هو الآن في مفترق الطرق أمه التي رضع من ثديها ولم يشفع له وابنته التي ارتمت في أحضان الصفاء عندها يفجر بركان الغضب على ابنته (شمسويه في روحك أقول امحق من طارش هذا اللي وصيتك عليه؟).

هذا الانقلاب يهز كيان الأب والذي لا يستوعب مع الأسف أبعاد الدرس.. إن هذا التحول يجعله غير متوازن ويسأل ماذا فعلتم بابنتي؟ فيكون رد الأخ جاسم (عائشة سمعت مريم وبستانها)..

إن الحفيدة وجدت أمراً آخر وصوتاً آخر (صوت هادئ.. حالم.. صوت حقيقي) ولأن ماجد قد أخذ كل الاحتياطات من أجل الاستيلاء على البيت فما هو يكشف عن أبعاده ويخبرهم بأمر التزوير في تحد سافر وأن ما قام به من أجل مستقبل الجميع وعندما تستفسر الأم عن مستقبل من؟ يكون الرد عن مستقبل ابنته عائشة وأخواتها هنا تعري الحفيدة عائشة ما بقي من ستر..

الحفيدة: لا ما تقدر.. البيت لهم مثل

الدنيا - الأساس - في لعبة الحياة.. ويحدث الانقلاب عندما تصر (الحفيدة) إلا يا يمه.. البيت يبقي - وأنتي بتمين فيه وغناء عمي يبقي ينسمع في ها البيت.. وليس ينباع الحين] ثم ترمي ورقة المقاسات وكأنها ترمي بأداة الجريمة بعيداً عندها وتقترب أكثر وأكثر من عوالم العائلة وكأنما تريد أن تكون جزءاً مشمولاً بهذا الحب والحنان الذي وجدته هنا وتؤكد مرة أخرى على تلك الجملة الاعتراضية (هذا إنا سولف) ثم تخاطب عمها جاسم بأن والدها (ماجد) لم ينقل إليها الحقائق ويخلق المؤلف حواراً في غاية العنوبة بين العم وابنة الأخ عندما تطرح عليه تساؤلاتها حول أميته أن يرى مرة أخرى..

جاسم: أنا أشوف يا عائشة.. للحين حافظ لون السماء ولون الطين ووجه أمي..

الحفيدة: وبعد.. وبعد يا عمي.. قول ووجه مريم..

جاسم: ووجه مريم..

إن فلسفة هذا المبصر - الأعمى - أعمق بكثير من كتب وكراسات الحفيدة.. فالحياة علمته فلسفته الخاصة يعيش بالحلم وبجزء من الواقع رآه في طفولته المبكرة.. كما أنه لم ينسلخ عن الواقع المحيط به، بل خلق وشائج على هواه وليس حسب رغبة الآخرين وأسئلته المحيرة.. هي أسئلة الكون.

ولنا فإن الحفيدة في حيرة من أمر الجدة والعم وتقول (معقول ها البيت وها الجدران تعلمكم كل ها الحجي.. تعلمكم كل ها الفيض من المشاعر والحب).. عمي

جاسم: خير يا عائشة؟

الحفيدة: ما تمنيت مريم تسمعك؟ مريم اللي في بالي..

آه من قسوة الزمن يكفي إنه يعيش بالحلم، الوهم، وكما يقول العم (بعد لها بستان) الحوار وإن بدأ هادئاً بين الأم والأبن وتوسع مدهاء عند دخول